البكاء من خشية الله أسبابه ، وموانعه ، وطرق تحصيله

جمعه وأعدَّه :
أبو طارق
إحسان بن محمد بن عايش العتيـبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

وبعد

البكاءُ فطرةٌ بشريّةٌ كما ذكر أهل التفسير ، فقد قال القرطبي في تفسير قول الله تعالى : { وأنّه هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى } [النجم / 43] : " أي : قضى أسباب الضحك والبكاء ، وقال عطاء بن أبي مسلم : يعني : أفرح وأحزن ؛ لأن الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء ...
" تفسير القرطبي " (17 / 116) .

وبما أن البكاء فعل غريزي لا يملك الإنسان دفعه غالباً فإنه مباح بشرط ألا يصاحبه ما يدلُّ على التسخُّط من قضاء الله وقدره ، لقول النبي صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلّم : " إنَّ اللهَ لا يُعذِّبُ بدمعِ العينِ ولا بحزنِ القلبِ ، ولكن يُعَذِّبُ بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحمُ " البخاري (1242) ومسلم (924) .

أنواع البكاء وأصدقها

قال يزيد بن ميسرة رحمه الله : " البكاء من سبعة أشياء : البكاء من الفرح ، والبكاء من الحزن ، والفزع ، والرياء ، والوجع ، والشكر ، وبكاء من خشية الله تعالى ، فذلك الذي تُطفِئ الدمعة منها أمثال البحور من النار ! " .

وذكر الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه " زاد المعاد " عشرة أنواع للبكاء نوردها كما ذكرها .

*بكاء الخوف والخشية .

*بكاء الرحمة والرقة .

*بكاء المحبة والشوق .

*بكاء الفرح والسرور .

*بكاء الجزع من ورود الألم وعدم احتماله .

*بكاء الحزن .... وفرقه عن بكاء الخوف ، أن الأول " الحزن " : يكون على ما مضى من حصول مكروه أو فوات محبوب وبكاء الخوف : يكون لما يتوقع في المستقبل من ذلك ، والفرق بين بكاء السرور والفرح وبكاء الحزن أن دمعة السرور باردة والقلب فرحان ، ودمعة الحزن : حارة والقلب حزين ، ولهذا يقال لما يُفرح به هو " قرة عين " وأقرّ به عينه ، ولما يُحزن : هو سخينة العين ، وأسخن الله به عينه .

*بكاء الخور والضعف .

*بكاء النفاق وهو : أن تدمع العين والقلب قاس .

*البكاء المستعار والمستأجر عليه ، كبكاء النائحة بالأجرة فإنها كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : تبيع عبرتها وتبكي شجو غيرها .

*بكاء الموافقة : فهو أن يرى الرجل الناس يبكون لأمر عليهم فيبكي معهم ولا يدري لأي شيء يبكون يراهم يبكون فيبكي .
" زاد المعاد " (1 / 184 ، 185) .

والبكاء من خشية الله تعالى أصدق بكاء تردد في النفوس ،

وأقوى مترجم عن القلوب الوجلة الخائفة .

البكاء الكاذب

البكاء قد يكون دليلاً على صدق الباكي ، وقد لا يكون ، وقد ذكر القرآن الكريم قصة إخوة يوسف عليه السلام وكيف تباكوا على أخيهم كذباً فقال تعالى : { وجاؤوا أباهُمْ عِشَاءً يَبْكونَ } [يوسف / 16] ، وعلى هذا فإن بكاء أحد المتخاصمين في القضاء ليس دليلاً يُعتدُّ به .

بكاء الإثم !!

البكاء على موت كافر أو طاغية أو فاسد ، والبكاء العاشقين ، وأهل الغرام بالأغاني .

فما في الأرض أشقى من محب وإن وجد الهوى حلو المذاق

تراه باكيا في كل حين مخافة فرقة أو لاشتياق

فتسخن عينه عند التلاقي وتسخن عينه عند الفراق

ويبكي إن نأوا شوقا إليهم ويبكي إن دنوا خوف الفراق

فضل البكاء من خشية الله

قال تعالى : { وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ . قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ . فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ . إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ } [الطور / 25 – 28]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع " . رواه الترمذي (1633) .

وقالَ رسُولُ اللَّه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم **:** " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ

في ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ : إِمامٌ عادِلٌ ، وشابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ اللَّه تَعالى ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّق بالمَسَاجِدِ ، وَرَجُلانِ تَحَابَّا في اللَّـه ، اجتَمَعا عَلَيـهِ وتَفَرَّقَـا عَلَيـهِ ، وَرَجَـلٌ دَعَتْـهُ امْـرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِـبٍ وَجَمالٍ ، فَقَالَ : إِنّي أَخافُ اللَّه ، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَـدَقَةَ فأَخْفاهـا حتَّـى لَا تَعْلَـمَ شِـمالهُ مـا تُنْفِـقُ يَمِينـهُ ، ورَجُـلٌ ذَكَـرَ اللَّـه خالِيـاً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ " .
رواه البخاري (629) ومسلم (1031) .

وقال رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم : " عينـان لا تمسـهما النار ، عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فـي سـبيل الله " . رواه الترمذي (1639) ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح الترمذي " (1338) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " ليس شيء أحب إلـى اللـه من قطرتين وأثرين : قطرة من دموع خشية اللـه ، وقطـرة دم تهراق في سبيل الله ، وأما الأثران : فأثر في سبيل اللـه ، وأثـر فـي فريضـة مـن فرائـض اللـه " رواه الترمـذي (1669) ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح الترمذي " (1363) .

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : " لأن أدمع من خشية الله أحب إلي من أن أتصدق بألف دينار ! " .

وقال كعب الأحبار : لأن أبكى من خشية الله فتسيل دموعي على وجنتي أحب إلى من أن أتصدق بوزني ذهباً .

حال الملائكة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لجبريـل : " مـا لـي لا أرى ميكائيـل ضـاحكاً

قط ؟ " قال : ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار .
رواه أحمد (12930) ، وقال المناوي في " فيض القدير " (5 / 452) : ... قال الزين العراقي إسناده جيد ، وحسنه الشيخ الألباني في " صحيح الترغيب " (3664) . [تنبيه : هذا الحديث من الأحاديث التي تراجع الشيخ الألباني من تضعيفه إلى تحسينه] .

عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مررتُ ليلة أسري بي بالملأ الأعلى وجبريل كالحِلس البالي من خشية الله تعالى " .
رواه الطبراني في " الأوسط " (5 / 64) وحسنه الشيخ الألباني في " صحيح الجامع " (5864) .

بكاء الأنبياء

قال تعالى : { أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذريه آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذريه إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً } [مريم / 58] .

بكاء النبي صلى الله عليه وسلم

عَن ابن مَسعودٍ - رضي اللَّه عنه – قالَ : قال لي النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم : " اِقْرَأْ عليَّ القُرآنَ " قلتُ : يا رسُولَ اللَّه ، أَقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ ؟ ، قالَ : " إِني أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي " فقرَأْتُ عليه سورَةَ النِّساء ، حتى جِئْتُ إلى هذِهِ الآية : { فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّة بِشَهيد وجِئْنا بِكَ عَلى هَؤلاءِ شَهيداً } [النساء / 40] قال " حَسْبُكَ الآن " فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ ، فَإِذَا عِيْناهُ تَذْرِفانِ . البخاري (4763) ومسلم (800) .

قال ابن بطال :

وإنما بكى - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عند هذا لأنه مثل لنفسه أهوال يوم القيامة ، وشدة الحال الداعية له إلى شهادته لأمته بتصديقه والإيمان به ، وسؤاله الشفاعة لهم ليريحهم من طول الموقف ، وأهواله ، وهذا أمر يحق له طول البكاء والحزن .

وعَن عبد اللَّه بن الشِّخِّير - رضي اللَّه عنه – قال : أَتَيْتُ رسُولَ اللَّه صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وسَلَّم وَهُو يُصلِّي ولجوْفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ المرْجَلِ مِنَ البُكَاءِ . رواه أحمد (15877) ، والنسائي (1214) وهذا لفظه ، وأبو داود (904) بلفظ " ... كأزيز الرحى " ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح الترغيب " (544) .
المِرْجل : القِدر الذي يغلي فيه الماء .

عن عبيد بن عمير رحمه الله : " أنه قال لعائشة - رضي الله عنها - : أخبرينا بأعجب شيء رأيتيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
قال : فسكتت ثم قالت : لما كانت ليلة من الليالي .
قال : " يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي " .
قلت : والله إني أحب قُربك ، وأحب ما يسرك .
قالت : فقام فتطهر ، ثم قام يصلي .
قالت : فم يزل يبكي ، حتى بل حِجرهُ !
قالت : وكان جالساً فلم يزل يبكي صلى الله عليه وسلم حتى بل لحيته !
قالت : ثم بكى حتى بل الأرض ! فجاء بلال يؤذنه بالصلاة ، فلما رآه يبكي ، قال : يا رسول الله تبكي ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟! قال : " أفلا أكون عبداً شكورا ؟! لقد أنزلت علي الليلة آية ، ويل لم قرأها ولم يتفكر فيها ! { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ... } الآية كلها [آل عمران / 190] " رواه ابن حبان (2 / 386) وغيره ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح الترغيب " (1468) ، وفي " الصحيحة " (68) .

عن أنس رضي الله عنه قال : شهدنا بنت رسول الله صـلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم جـالس علـى القبر فرأيت عينيه تدمعان ، فقال : هل فيكم من أحد لم يقارف الليلة ؟ فقال أبو طلحة : أنا ، قال : فانزل في قبرها ، فنزل في قبرها فقبرها . رواه البخاري (1225) .
وبكى شفقة على أمته .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى اللـه عليـه وسلم تلا قول الله عز وجل في إبراهيم { رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني } الآية [إبراهيـم / 36] وقـال عيسى عليه السلام { إن تعـذبهم فـإنهم عبـادك وإن تغفـر لهـم فإنك أنت العزيز الحكيم } [المائدة / 118] فرفع يديه وقال - اللهم أمتي أمتي - وبكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فسله ما يبكيك فأتاه جبريـل عليـه الصـلاة والسلام فسأله فأخبره رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم بمـا قال - وهو أعلم - فقال الله يا جبريل اذهب إلى محمد فقـل إنـا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك . رواه مسلم (202) .
عن عبد اللـه بـن عمـرو بـن العـاص - أيضـاً - قـال : انكسـفت الشمس على عهـد رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم فقـام رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكد يركع ثم ركع فلم يكـد يرفع ثم رفع فلم يكد يسجد ثم سجد فلم يكد يرفع ثم رفـع فلـم يكد يسجد ثم سجد فلم يكـد يرفـع ثـم رفـع وفعـل فـي الركعـة الأخرى مثل ذلك ثم نفخ في آخـر سـجوده فقـال : أف أف ، ثـم قال : رب ألم تعدني أن لا تعذبهم وأنا فيهـم ؟ ألـم تعـدني أن لا تعذبهم وهم يستغفرون ؟ ونحن نستغفرك ، فلما صـلى ركعـتين انجلت الشمس فقام فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثـم قـال : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسـفان لمـوت أحـد ولا لحياته فإذا انكسفا فافزعوا إلى ذكر الله تعـالى . رواه أبـو داود

(1194) وصححه الشيخ الألباني في " صحيح أبي داود " (1055) لكن بذكر الركوع مرتين كما في الصحيحين .

بكاء الصحابة

عن أنس رضي الله عنه قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال : " لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً " ، فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم ولهم خنين ، وفي رواية : بلَغَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحابه شيء فخطب فقال : " عرضت عليَّ الجنة والنار فلم أر كاليوم من الخير والشر ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً " فما أتى على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أشد منه غطوا رؤوسهم ولهم خنين " . رواه البخاري (4345) ، والرواية الثانية لمسلم (2359). ، والخنين : هو البكاء مع غنّة .

قال ابن حجر :

المراد بالعلم هنا : ما يتعلّق بعظمة الله وانتقامه ممّن يعصيه ، والأهوال التي تقع عند النزع والموت وفي القبر ويوم القيامة .

وعن أبي سفيان عن أشياخه قال : قدم سعد على سلمان يعوده ، قال : فبكى ، فقال سعد : ما يبكيك يا أبا عبد الله ؟ توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض وترد عليه الحوض وتلقى أصحابك ، فقال : ما أبكي جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلينا عهداً قال : " لتكن بلغة أحدكم من الدنيا كزاد الراكب " وحولي هذه الأساود قال وإنما حوله إجانة وجفنة ومطهرة فقال يا سعد اذكر الله عند همك إذا هممت وعند يديك إذا قسمت وعند حكمك إذا حكمت .

رواه الحاكم (4 / 353) وقال صحيح الإسناد – قال المنذري

- : كذا قال .
قوله " وهذه الأساود حولي " قال أبو عبيد : أراد الشخوص مـن المتاع وكل شخص سواد من إنسـان أو متـاع أو غيـره ، وحسـنه الألباني في " صحيح الترغيب " (3224) ، وقال معلقاً تحت هذا الحديث : بُلْغَة : بضم الموحدة ، مـا يُتَبَلَّـغ بـه مـن العيـش ، إجانة : شيء تغسل فيه الثياب ، والجفنة : كالقصة ، والمطهـرة : إدواة الماء ، ذكرها الجوهري بفتـح الميـم وكسـرها ثـم قـال : والفتح أعلى ...

وعن هانئ مولى عثمان رضي الله عنه قال : كان عثمـان إذا وقف على قبر ؛ بكى حتى يبل لحيته ! فقيل له : تذكر الجنـة والنار فلا تبكي ، وتبكي من هذا ؟! فقـال إن رسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم قال : " إن القبر أول منزل من منـازل الآخـرة ، فإن نجا منه ، فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينـج منـه ؛ فمـا بعـده أشد منه ! " قال : وقال رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم : " مـا رأيـت منظـراً قـط إلاّ القـبر أفظـع منـه ! " رواه أحمـد (456) ، والترمذي (2308) ، وابن ماجه (4267) ، وحسنه الشيخ الألباني في " صحيح الترمذي " للألباني (1878) .

وبكى معاذ رضي الله عنه بكاء شديدا فقيل لـه مـا يبكيـك ؟ قال : لأن الله عز وجل قبض قبضتين واحدة في الجنة والأخـرى في النار ، فأنا لا أدري من أي الفريقين أكون .

وبكى الحسن فقيل له : ما يبكيـك ؟ قـال : أخـاف أن يطرحنـي الله غداً في النار ولا يبالي .

وعن تميم الداري رضى الله عنه أنه قرأ هـذه الآيـة : { أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملـوا الصالحات } [الجاثية / 21] فجعل يرددها إلى الصباح ويبكي .

وكان حذيفة رضي الله عنه يبكي بكاءً شـديداً ، فقيـل لـه : ما بكاؤك ؟ فقال : لا أدري على مـا أقـدم ، أعلـى رضـا أم علـى سخط ؟ .

عن سعد عن أبيه قال : أُتي عبد الرحمن بن عوف رضـي اللـه عنه يوما بطعامه فقال : قتل مصعب بن عمير وكان خيـراً منـي فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة ، وقتل حمزة – أو رجل آخـر – خير مني فلم يوجد له مـا يكفـن فيـه إلا بـردة ، لقـد خشـيت أن يكون قد عجلت لنا طيباتنا فـي حياتنـا الـدنيا ، ثـم جعـل يبكـي . رواه البخاري (1215) .

وقال سعد بن الأخرم : كنت أمشـي مـع ابـن مسـعود فمَّـر بالحدَّادين و قد أخرجوا حديداً من النار فقام ينظـر إلـى الحديـد المـذاب ويبكـي . ومـا هـذا البكـاء إلا لعلمهـم بـأن الأمـر جـد والحساب قادم ولا يغادر صغيره ولا كبيره إلا أحصاها .

وخطب **أبو موسى الأشعري رضي الله عنـه** مـرة النـاس بالبصرة : فذكر في خطبته النار ، فبكـى حـتى سـقطت دمـوعه على المنبر ! وبكى الناس يومئذ بكاءً شديداً .

وقرأ ابن عمـر رضـي اللـه عنهمـا : { وَيْـلٌ لِّلْمُطَفِّفِيـنَ } [سورة المطففيـن :1] فلمـا بلـغ : { يَـوْمَ يَقُـومُ النَّـاسُ لِـرَبِّ الْعَالَمِينَ } [سورة المطففين :6] بكى حـتى خـرَّ وامتنـع عـن قراءة ما بعده .

عن نافع قال : كان ابن عمر إذا قرأ { ألم يأن للذين آمنـوا أن تخشع قلـوبهم لـذكر اللـه } [الحديـد / 16] بكـى حـتى يغلبـه البكاء .

وقوله تعالى : { أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمْ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ } [الحديد / 16] :
قال ابن مسعود رضي الله عنه : ما كان بين إسلامنا وبيــن أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين.
رواه مسلم (3027) .

وقال مسروق رجمه الله : " قرأت على عائشة هذه الآيـات : { فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَـا وَوَقَانَـا عَـذَابَ السَّـمُومِ } [الطـور / 27] فبكت ، وقالت " ربِّ مُنَّ وقني عذاب السموم " .

بكى أبو هريرة رضي الله عنه في مرضـه . فقيـل لـه : مـا يبكيك ؟! فقال : " أما إني لا أبكي على دنياكم هذه ، ولكن أبكي على بُعد سفري ، وقلة زادي ، وإني أمسيت في صعود على جنة أو نار ، لا أدري إلى أيتهما يؤخذ بي !! " .

كان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه واضـعاً رأسـه فـي حجر امرأته فبكى فبكت امرأته فقـال مـا يبكيـك فقـالت رأيتـك تبكي فبكيت قال إني ذكرت قول الله عز وجل { وَإِنْ مِنْكُــمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّـكَ حَتْمـاً مَقْضِـيّاً } [مريـم / 71] فلا أدري أأنجو منه أم لا .

اشتكى سلمان الفارسي فعاده سعد بن أبـي وقـاص فـرآه يبكي فقال له سعد : ما يبكيك يا أخي أليس قـد صـحبت رسـول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أليس ؟ أليـس ؟ قـال سـلمان : مـا أبكي واحدة من اثنتين ما أبكي ضـنّاً للـدنيا ولا كراهيـة للآخـرة ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إليَّ عهداً فما أراني إلا قد تعديت ! قال : وما عهد إليك ؟ قال : عهد إلـيَّ أنـه يكفـي

أحدكم مثل زاد الراكب ولا أراني إلا قد تعديت ، وأما أنت يا سعد فاتق الله عند حكمك إذا حكمت ، وعند قسمك إذا قسمت ، وعند همك إذا هممت . قال ثابت : فبلغني أنه ما ترك إلا بضعة وعشرين درهما من نفقة كانت عنده . رواه ابن ماجه (4104) ، وصححه الشيخ الألباني في" صحيح ابن ماجه " (3312) ، " وصحيح الترغيب " (3225) .

عن أنس بن مالك أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لأبيٍّ بن كعب إن الله أمرني أن أقرئك القرآن قال أالله سماني لك ؟ قال : نعم ، قال : وقد ذُكرت عند رب العالمين ؟ قال : نعم ، فذرفت عيناه - وفي رواية : فجعل أبيٌّ يبكي -. رواه البخاري (4677) ، ومسلم (799) .

بكاء السلف الصالح

وكان بعض الصالحين يبكي ليلاً ونهاراً ، فقيل له في ذلك ، فقال : أخاف أن الله تعالى رآني على معصية ، فيقول : مُرَّ عنى فإني غضبان عليك .

وهذا إسماعيل بن زكريا يروي حال حبيب بن محمد - وكان جارا له – يقول : كنت إذا أمسيت سمعت بكاءه وإذا أصبحت سمعت بكاءه ، فأتيت أهله ، فقلت ما شأنه ؟ يبكي إذا أمسى ، ويبكي إذا أصبح ؟! قال : فقالت لي : يخاف والله إذا أمسى أن لا يصبح و إذا أصبح أن لا يمسي .

وحين عوتب يزيد الرقاشي على كثرة بكائه ، وقيل له : لو كانت النار خُلِقتْ لك ما زدت على هذا ؟! قال : وهل خلقت النار إلا لي ولأصحابي ولإخواننا من الجن و الإنس ؟؟ .

وحين سئل عطاء السليمي : ما هذا الحزن ق ال : ويحك ،

الموت في عنقي ، والقبر بيتي ، وفي القيامة موقفي وعلى جسر جهنم طريقي لا أدري ما يُصنَع بي .

وكان فضالة بن صيفي كثير البكاء ، فدخل عليه رجل وهو يبكي فقال لزوجته ما شأنه ؟ قالت : زعم أنه يريد سفراً بعيداً وماله زاد .

وانتبه الحسن ليلة فبكى ، فضج أهل الدار بالبكاء ، فسألوه عن حاله فقال : ذكرت ذنباً لي فبكيت.
وحدث من شهد عمر بن عبد العزيز وهو أمير على المدينة : أن رجلاً قرأ عنده : { وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا } [الفرقان : 13] فبكى حتى غلبه البكاء ، وعلا نشيجه ! فقام من مجلسه ، فدخل بيته ، وتفرَّق الناس .

وقال خالد بن الصقر السدوسي : كان أبي خاصاً لسفيان الثوري ، قال أبي : فاستأذنت على سفيان في نحر الظهر ، فأذنت لي امرأة ، فدخلت عليه وهو يقول : { أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم } [سورة الزخرف :80] ثم يقول : بلى يا ربّ ! بلى يا ربّ ! وينتحب ، وينظر إلى سقف البيت ودموعه تسيل ، فمكثت جالساً كم شاء الله ، ثم أقبل إليّ ، فجلس معي . فقال : منذ كم أنت ها هنا ! ما شعرت بمكانك !

بكاء المعاصرين

عندما بكى الشيخ ابن باز

دموع سماحة الوالد ليست ملكاً له ، فعينه تغلبه كثيراً عندما تقرأ عليه آية من كتاب الله ، أو يسمع حادثة من حوادث السيرة النبوية أو يحكى له موقف مؤثر من الماضي أو الحاضر ، وها هم طلابه يتحدثون عن هذا الموضوع .

فقد سألنا أحد طلاب الشيخ عن أبرز المواطن التي تغلب الشيخ فيها دموعه فيبكي فأجاب :
شيخنا قريب الدمعة ، يبكي كثيراً حتى إن بكاءه يصل إلى حد الجياش الشديد ، فهو يبكي عند ذكر الوعد والوعيد ، ويبكي عند حصول بعض المصائب لبعض المسلمين ، ويبكي عند حصول بعض الغرائب في الدين التي هي من أعظم المصائب ، ويبكي عند ذكر السلف الصالح وأحوالهم في الزهد والتقشف ، ويبكي حين تذكر شيوخه وإخوانه الذين ماتوا قبله ، أو حين تحل بهم أقدار الله .

قلب رقيق
ويكمل الحديث أحد الطلاب الذين يحضرون دروس سماحة الشيخ منذ عام 1399هـ فيقول :
الشيخ حفظه الله يملك قلباً رقيقاً متأثراً بكل ما يسمعه من الآيات والأحاديث النبوية وكذا سيرة الصحابة رضي الله عنهم ، فكم من آية من كتاب الله وقف الشيخ عندها متأثراً باكياً لما فيها من الوعيد وكذا ما أعده الله من النعيم ، وكم حديث أثار أشجان الشيخ فبكى متأثراً مما ورد فيه كقصة الإفك مثلاً وكذا توبة كعب بن مالك وغيرها من الأحاديث .
وأذكر مرة أنه قُرأ على الشيخ حديث : " إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الملوك ، لا مالِك إلا الله " - البخاري (5852) ، ومسلم (3143) - قال سفيان : مثل شاهان شاه ، فكان القارئ وهو أحد تلاميذه قرأها (شاهٍ شاه) فقال الشيخ مصححاً له : (شاهانَ شاه) هكذا قرأتها على سماحة شيخنا العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله ، فما كان من الشيخ إلا أن دمعت عيناه وغلبه البكاء لأنه تذكر شيخه سماحة العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ - رحمه الله - فكان هذا موقفاً لا أنساه ، ودمعة على وجنتيّ شيخنا لا أنساها أبداً .

ويبدو أن لمواقف السيرة النبوية أثراً عظيماً في قلب شيخنا ابن باز حيث إنه كثيراً ما يتأثر عند سماعه بعض أخبارها .
و ها هو الأخ عبد الله الروقي يعد لنا بعض هذه المواطن :
أذكر منها : بكى عند قصة تخلف كعب بن مالك رضي الله عنه عن غزوة تبوك ، وبكى عند حديث الإفك وقصة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها في ذلك ، وبكى عند حديث جرير بن عبد الله البجلي الذي رواه أحمد (ساعاتي ج 1 / 75 – 77) - ترقيم إحياء التراث (18677) - في قصة الأعرابي الذي أسلم ثم وقصته دابته فقال عليه الصلاة والسلام : " عمل قليلاً وأجر كثيراً " ، وبكى عند بيعة الأنصار رضي الله عنهم للنبي صلى الله عليه وسلم في بيعة العقبة الثانية ، كما تأثر كثيراً عندما قرئ عليه من " زاد المعاد " باب فتح مكة ، وكان يكثر فيه من الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وغير ذلك مما يطول .

واستمع لبكاء الشيخ عند ذِكره لشيخه الشيخ محمد بن إبراهيم – رحمهما الله - :
http://www.sohari.com/nawader_v/monawa3/ben-baz-ben-braheem.ram
وهنا – أيضاً - :
http://mypage.ayna.com/an4/es.rm

حادثة الإفك وقول أبي بكر

ويقول الأخ فهد السنيدي : إنه ما رأى الشيخ متأثراً كما رآه عندما قرأت عليه حادثة الإفك إذ تأثر الشيخ وبكى طويلاً .
استمع لبكاء الشيخ عند هذا الموضع :
http://saaid.net/Doat/ehsan/afk.rm

وقد غلبه البكاء مرة عندما قرئت عليه مقولة أبي بكر رضي الله

عنه عندما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم " من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت " رواه البخاري (3467) .

عندما بكى الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله -

قال أحد تلامذة الشيخ :

عبد الرحمن بن داود من خيرة طلاب شيخنا وأحاسنهم أخلاقاً من يمن الإيمان والحكمة له في قلوب الجميع محبة ومكانة ، حصل له حادث توفي على أثره وهو في طريقه لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم , حزن الجميع للنبأ وسلمنا لقضاء الله وقدره ووضعت الجنازة بعد صلاة المغرب ليتقدم شيخنا - رحمه الله - ويصلي عليه , ثم تُحمل الجنازة إلى المقبرة .

وفجأة بعد الصلاة افتقدنا الشيخ رحمه الله فقال البعض : لعله تبع الجنازة ، وقال آخرون : لعل الشيخ صائم فذهب للإفطار - كما هي عادته - وسيعود بعد ربع ساعة ، أما البعض فقد رأوا شيخنا عندما نزل بعد الصلاة إلى قبو المسجد , فجلسوا حول كرسي الشيخ في انتظار صعوده للدرس اليومي .

ثم قام أحد الأخوة من طلبة الشيخ المعروفين - ممن لم ير الشيخ - فنزل إلى القبو ريثما يعود الشيخ , وفجأة وهو ينزل إذ بالشيخ - رحمه الله - يصعد من القبو وهو يمسح الدموع عن وجهه , وقد ظهر على وجهه التأثر الشديد والبكاء , هنا ألقى صاحبنا على شيخنا السلام ثم صعد , أما الشيخ فقد كفكف دمعه وصعد إلى مكان الدرس وجلس على كرسيه والجميع حوله ثم ترحم على أخينا - عبد الرحمن - وذكره بخير ، ثم استمر في درسه وكأن شيئاً لم يكن .

ماذا نقول ؟! ثبات وقوة في رقة و إيمان .

رحم الله عبد الرحمن بن داود ، ورحم الله شيخنا فقد لحق المعلم بالطالب ونحن على الأثر .

عندما بكى الشيخ الألباني – رحمه الله –

والشيخ رحمه اللـه – علـى خلاف مـا يظـن الكـثيرون – رقيـق القلـب ، غزيـر الـدمع ، فهـو لا يُحـدَّث بشـيء فيـه مـا يبكـي إلا وأجهش في البكاء ، ومن ذلك :

أ. حدثته امرأة جزائرية أنها رأته يسأل عن الطريق الذي سـلكه النبي صلى الله عليه وسلم ، فدُلَّ عليـه فسـار علـى خطـواته لا يخطئها ، فلم يحتمل كلامها ، وأجهش بالبكاء .
واستمع :
http://www.alalbany.net/audio/alalbany011.zip

ب. وفي آخر لقاء لي به رحمه الله ، حدثته عن رؤيا رآهـا بعـض إخواننا ، وهي أنه رأى هـذا الأخ النـبيَّ صـلى اللـه عليـه وسـلم ، فسأله : إذا أشكل عليَّ شيء فـي الحـديث مَـن أسـأل ؟ فقـال النبي صلى الله عليه وسلم : سل محمد ناصـر الـدين الألبـاني . فما أن انتهيت من حديثي حتى بكى بكـاءً عظيمـاً ، وهـو يـردد " اللهم اجعلني خيراً مما يظنون ، واغفر لي ما لا يعلمون " .

ج. وحدثه بعض إخواننا عن سب والده للرب والـدين - والعيـاذ بالله - فبكى الشيخ لما سمع من جرأة من ينتسـب للـدين علـى بعض هذه القبائح و العظائم في حق الله ، وحكم على والده بأنه مرتد كافر .

د. وبكى – رحمـه اللـه – لمـا أثنـى عليـه بعـض إخواننـا اعترافـاً بتقصيره وتواضعاً لربه تعالى .
واستمع :
http://www.alalbany.net/audio/alalbany012.zip

قسوة القلب وأسبابها

العين تتبـع القلـب ، فـإذا رق القلـب دمعـت العيـن ، وإذا قسـى

قحطـت ، قـال ابـن القيّـم - رحمـه اللـه – فـي كتـاب " بـدائع الفوائد " (3 / 743) - : " ومتى أقحطت العين من البكاء من خشية الله تعالى فـاعلم أن قحطهـا مـن قسـوة القلـب ، وأبعـد القلوب من الله : القلب القاسي " وكان كثير من السلف يحـب أن يكون من البكائين ، ويفضلونه على بعض من الطاعات ، كمـا قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : " لأن أدمـع مـن خشـية الله أحب إليَّ من أن أتصدق بألف دينار " .
وكان النبي صلى الله عليـه وسـلم يسـتعيذ مـن القلـب الـذي لا يخشع فيقول " ... اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يسـتجاب لهـا " . رواه مسلم (2722) .

ولقسوة القلوب أسبابها ، ولرقتها أسبابها - كذلك - فمن أسباب قسوة القلوب :

1. كثرة الكلام .

2. نقض العهد مع الله تعالى بفعل المعاصي وتـرك الواجبات .

3. كثرة الضحك .
" كثرة الضحك تميت القلب " رواه أحمد (8034) ، والترمذي (2305) ، وابن ماجه (4217) ، وصححه الشيخ الألباني في " الصحيحة " (506 و 927 و 2046) .

مرَّ الحسن البصري بشاب وهو مسـتغرق فـي ضـحكه ، وهـو جالس مع قوم في مجلس .
فقال له الحسن : يا فتى هل مررت بالصراط ؟!
قال : لا !
قال : فهل تدري إلى الجنة تصير أم إلا النار ؟!

قال : لا !
قال : فما هذا الضحك ؟!
فما رؤُي الفتى بعدها ضاحكاً .

وكان الحسن يقول : يحق لمن يعلم : أن الموتَ موردُه ، وأن الساعةَ موعدُه ، والقيام بين يدي الله تعالى مشهدُه : يحـق لـه أن يطول حزنُه .

4. كثرة الأكل .
قال بشر بن الحارث : خصلتان تقسيان القلـب : كـثرة الكلام ، وكثرة الأكل .

5. كثرة الذنوب .
قـال تعـالى : { كلا بـل ران علـى قلـوبهم مـا كـانوا يكسـبون } [المطففيـن / 14] ، وقـال صـلى اللـه عليـه وسـلم : " إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء فـي قلبـه ، فـإن تـاب ونـزع واسـتغفر صُـقل قلبـه ، وإن زاد زادت حـتى يعلـو قلبـه ، فـذلك الران الذي ذكر الله في كتابه : { كلا بـل ران علـى قلـوبهم مـا كانوا يكسبون } [المطففين / 14] . رواه أحمد (7892) ، والترمذي (3334) ، وابن ماجه (4244) ، وحسنه الشيخ الألباني في " صحيح ابن ماجه " (3422) .

وقال بعض السلف : البدن إذا عُرِّي رقَّ ، وكذلك القلـب إذا قلت خطاياه أسرعت دمعته .

عن عقبة بن عامر قال : قلت يا رسول الله : ما النجاة ؟ مـا النجاة ؟ قال : " أمسـك عليـك لسـانك ، وليسـعك بيتـك ، وابـك على خطيئتك " أخرجه الترمذي (2406) ، وقال: حديث حسن ، وصححه الألباني في " صحيح الترغيب " (2741) .

6. صحبة السوء .
وقد شبهه النبي صلى الله عليه وسلم بنافخ الكير- البخاري (1995) ، ومسلم (2628) - .
بل حتى كثرة المخالطة تقسِّي القلب ، قال بعض السلف : وقسوة القلب من أربعة أشياء إذا جاوزت قدر الحاجة : الأكل ، والنوم ، والكلام ، والمخالطة .

وقد قيل " الصاحب ساحب " ، و " الطبع يسرق من الطبع " ، فمن جالس أهل الغفلة والجرأة على المعاصي سرى إلى نفسه هذا الداء : { وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً . لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً } [الفرقان / 27 – 29] .
والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : " المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل " رواه أحمد (8212) ، والترمذي (2378) ، وأبو داود (4833) ، وحسنه الألباني في " السلسلة الصحيحة " (927) .
قال ابن حبان - رحمه الله - :
العاقل لا يصاحب الأشرار لأن صحبة السوء قطعة من النار ، تُعقب الضغائن ، لا يستقيم ودُّه ، ولا يفي بعهدِه .

وقال ابن القيم :
ومتى رأيت نفسك تهرب من الأنس به إلى الأنس بالخلق ومن الخلوة مع الله إلى الخلوة مع الأغيار فاعلم أنك لا تصلح له . " بدائع الفوائد " (3 / 743) .

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - :

وبالجملة : فمصاحبة الأشرار مُضرة من جميع الوجوه على مَـن صاحبهم وشرٌّ على من خالطهم ، فكم هلك بسببهم أقوام ، وكم أقادوا أصحابهم إلى المهالك مـن حيـث يشـعرون ومـن حيـث لا يشعرون " .

وقال أبو الأسود الدؤلي - رحمه الله - : " مـا خلـق اللـه خلقاً أضر من الصاحب السوء " .

أسباب وطرق تليين القلوب والبكاء من خشية الله

ويستطيع المسلم أن يليِّن قلبـه ويـدمع عينـه بمـا يسـمع ويقـرأ ويرى ؛ وذلك - بعد توفيق اللـه تعـالى – بـالبحث عـن الأسـباب الموصلة لذلك ، وبقراءة سير السلف الصالح ومعرفـة أحـوالهم فـي هـذا الأمـر ، وسـنذكر مـا تيسـر مـن الأمريـن – الأسـباب والأحوال - لعلَّ الله أن ينفع بها ، ومن ذلك :

1. معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله .

فمن عرف الله خافه ورجاه ، ومن خافه ورجاه رق قلبه ودمعت عينه ، ومن جهل ربه قسى قلبه وقحطت عينه .

ومقامات الإيمان : الحب ، والخوف ، والرجاء ، وكل أولئك تدعو المسلم للبكاء .

قال أبو سليمان الـداراني - كمـا ذكـر عنـه ابـن كـثير فـي ترجمته في " البداية والنهاية " (10 / 256) : لكل شيء علَم وعلَم الخُذلان : ترك البكاء من خشية الله .

فإذا خذل الله العبد : سلبه هذه الخصلة المباركة ، وصـار شـقيّاً قاسي القلب وجامد العين .

فالمحب يبكي شوقاً لمحبوبه والخائف يبكي من فراقه وخشيت فراقه والراجي يبكي لحصول مطلـوبه فـإذا أحببـت اللـه دعـاك حبُّه للبكاء شوقاً لـه ، وإذا خفـت منـه دعـاك خـوفُه للبكـاء مـن

خشـيته وعقـابه ، وإذا رجـوته دعـاك رجـاؤه للبكـاء طمعـاً فـي رضوانه وثوابه .
وإلى هذه الأمور الثلاثة - الحب ، والخوف ، والرجاء - أشار نبينـا محمد عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عيه وسلم قـال : " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظـل إلا ... ورجـل ذكـر اللـه خالياً ففاضت عيناه " رواه البخاري (629) ، ومسلم (1031) .
ومعنى " ذكر الله " خائفاً أو محبّاً أو راجياً ، فإذا اتصف المسلم بهـــــذا فهـــــو ســـــعيد وإلا فهـــــو مخـــــذول .

2. قراءة القرآن الكريم وتدبر آياته .
قال الله تعالى - في وصـف عبـاده العلمـاء الصـالحين - : { إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأذْقَانِ سُـجَّدًا . وَيَقُولُونَ سُـبْحَانَ رَبّنَـا إِن كَـانَ وَعْـدُ رَبّنَـا لَمَفْعُـولاً . وَيَخِـرُّونَ لِلأذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا } [الإسراء :107-109] .

قال الطبري عند الكلام على هذه الآية : يقـول تعـالى ذكـره : ويخر هؤلاء الذين أوتوا العلم من مؤمني أهل الكتابين , من قبل نزول الفرقان , إذا يتلى عليه القرآن لأذقانهم يبكون , ويزيـدهم ما في القرآن من المواعظ والعبر خشوعا , يعني خضـوعا لأمـر الله وطاعته استكانة له .
" تفسير الطبري " (15 / 181) .

وقال القرطبي : هذا مدح لهم , وحق لكل من توسم بـالعلم , وحصل منه شـيئا أن يجـري إلـى هـذه المرتبـة , فيخشـع عنـد استماع القرآن ويتواضع ويذل .
" تفسير القرطبي " (10 / 341) .
{ من قبله } أي : من قَبل النبي صلى الله عليه وسلم ، ويبكون

عند سماع ما نزل عليهم .
وقيل : من قَبل القرآن ، وهـم اليهـود والنصـارى ، وهـي بشـرى للمتقين منهم أنهم يسلمون ، وهـو الـذي حصـل كما فـي قـوله تعالى : { وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُـمْ تَفِيـضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَق } [المائدة : 83] .

والآيات الأوَل - في الإسراء - مكية ، ومما نزل في مكة :
قولُه تعالى : { أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آَدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُـوحٍ وَمِـنْ ذُرِّيَّـةِ إِبْرَاهِيـمَ وَإِسْـرَائِيلَ وَمِمَّـنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آَيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا } [مريم / 58] .

وآية " الذاريات " :
{ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى . أَزِفَتِ الْآَزِفَةُ . لَيْسَ لَهَـا مِـنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ . أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ . وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ . وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ . فَاسْجُدُوا لِلَّـهِ وَاعْبُـدُوا } [الـذاريات / 56 – 62] .
وهـذا لتربيـة الصـحابة علـى رقـة القلـب وصـدق الإيمـان ، وأن الضحك الحق لا يكون إلا في الآخرة.
{ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا يَضْـحَكُونَ . وَإِذَا مَـرُّوا بِهِـمْ يَتَغَـامَزُونَ . وَإِذَا انْقَلَبُـوا إِلَـى أَهْلِهِـمُ انْقَلَبُـوا فَكِهِيـنَ . وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَـالُّونَ . وَمَـا أُرْسِـلُوا عَلَيْهِـمْ حَـافِظِينَ . فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ . عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ . هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُـونَ . [المطففيـن / 29 – 36]
وهي سورة مكية .

وهذا هو حال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مع القرآن .

عن عبد الله بن مسعود قال : قال لـي رسـول اللـه صـلى اللـه

عليه وسلم : اقرأ عليَّ القرآن , قال : قلت : يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : إني أشتهي أن أسمعه من غيري , قال : فقرأت النساء حتى إذا بلغت { فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا } رفعت رأسي أو غمزني رجل إلى جنبي فرأيت دموعه تسيل .
رواه البخاري (4306) ومسلم (800) .

وهذا هو حال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مع القرآن .

عن أبي صالح قال : لما قدم أهل اليمن في زمان أبي بكر فسمعوا القرآن جعلوا يبكون فقال أبو بكر : هكذا كنا ثم قست القلوب !!

وحال أبي بكر تصفه عائشة فتقول :
لما مرض النبي صلى الله عليه وسلم مرضه الذي مات فيه أتاه بلال يوذنه بالصلاة فقال : مروا أبا بكر فليصل قلت : إن أبا بكر رجل أسيف - وفي رواية : لا يملك دمعه ، وفي روايةٍ : كان أبو بكر رجلا بكّاءً ؛ لا يملكُ عينيه إذا قرأ القرآن – إن يقم مقامك يبكي فلا يقدر على القراءة ... . البخاري (633) ، ومسلم (418) .

وعن عبد الله بن شداد أنه قال : سمعتُ نشيج عمر وأنا في آخر الصف وهو يقرأ سورة يوسف { إنما أشكو بثي وحزني إلى الله } [يوسف / 86] .
رواه البخاري معلقاً ، انظر : " فتح الباري " لابن حجر (2 / 206) .
والنشيج : رفع الصوت بالبكاء .

وعن سالم بن عبد الله أن ابن عمر قرأ { وإن تبدوا ما في

أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله } الآية – [البقرة / 284] - ; فدمعت عيناه فبلغ صنيعه ابن عباس فقال : يرحم الله أبا عبـد الرحمن , لقد صنع كما صنع أصحاب رسول الله صلى الله عليـه وسلم حين أنزلت , فنسختها الآية التي بعـدها { لهـا مـا كسـبت وعليها ما اكتسبت } – [البقرة / 286] - .

وعن تميم الداري رضي الله عنه أنه قرأ هـذه الآيـة : { أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملــوا الصالحات } [الجاثية / 21] فجعل يرددها إلى الصباح ويبكي .

وقرأ ابن عمـر رضـي اللـه عنهمـا : { وَيْـلٌ لِّلْمُطَفِّفِيـنَ } [سورة المطففين / 1] فلما بلـغ : { يَـوْمَ يَقُـومُ النَّـاسُ لِـرَبِّ الْعَالَمِينَ } [سورة المطففين / 6] بكى حتى خـرَّ وامتنـع عـن قراءة ما بعده .
وقال مسروق رحمـه اللـه : قـرأتُ علـى عائشـة هـذه الآيـات : { فَمَـنَّ اللَّـهُ عَلَيْنَـا وَوَقَانَـا عَـذَابَ السَّـمُومِ } [الطـور / 27] فبكت ، وقالت : " ربِّ مُنَّ وقني عذاب السموم " .
وهكذا كان حال من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

قرأ رجلُ عند عمر بن عبد العزيز - وهو أمير على المدينة - قولهِ تعالى : { وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِيـنَ دَعَـوْا هُنَالِـكَ ثُبُوراً } [الفرقان / 13] فبكى حتى غلبه البكاء ، وعلا نشيجه ! فقام من مجلسه ، فدخل بيته ، وتفرَّق الناس .

كان محمد بن المنكدر من سادات القـراء ، لا يتمالـك البكـاء إذا قرأ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذُكر عنـه أنـه بينا هو ذات ليلة قائم يصلي إذ استبكى ، فكثر بكـاؤه حـتى فـزع له أهله وسألوه ، فاستعجم عليهم وتمادى في البكـاء ، فأرسـلوا إلى أبي حازم فجاء إليه ، فقال : ما الذي أبكـاك ؟ قـال : مـرت

بي آية ، قال : ما هي ؟ قال : { وبدا لهم من الله مـا لـم يكونـوا يحتسبون } [الزمر / 47] فبكى أبو حازم معه فاشتد بكاؤهمـا .

قال إبراهيم بن الأشعث : سـمعت فضـيلاً يقـول ذات ليلـة وهو يقرأ سورة محمد صلى الله عليه وسلم ، ويبكي ويردد هذه الآية : { ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلـو أخباركم } [محمد / 31] وجعل يقول : وتبلوا أخبارنا ، ويردد : وتبلو أخبارنا ، إن بلـوتَ أخبارنـا فضـحتَنا ، وهتكـتَ أسـتارنا ، إن بلوتَ أخبارنا أهلكتنا وعذبتنا ، ويبكي .
وسبق ذِكر جملة من بكائهم - رحمهم الله - .
واستمع لبعض القراءات المؤثرة والتي بكى أصحابها فيها :
- الشيخ سعود الشريم يبكي بعد موت الشيخ عمر السبيل
http://mypage.ayna.com/kayeralqassim/Shureem1423.rm
- وقراءة أخرى للشيخ حفظه الله – وأظنها بعد وفاة الشيخ جـار الله - :
http://saaid.net/flash/fate7h.htm
- وهذه قراءة للشيخ مشاري العفاسي :
http://manzoma.siteatnet.com/foreign/manzoma/shoaraa.zip
- وهذا مقطع للشيخ سعد الغامدي :
http://www.muslm.net/muslm3/jeddah/saed/s3d.rm
- وهذا مقطع من سورة ق للشيخ خالد القحطاني :
http://www.mndah.net/pic/kahtany.ram

3. كثرة ذكر الله عز وجل .

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قـال : سـبعة يظلهم الله في ظله يـوم لا ظـل إلا ظلـه : ... - وذكـر منهـم : -

ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه .
رواه البخاري (629) ومسلم (1031) .
والخلوة مدعاة إلى قسوة القلب ، والجرأة على المعصية ، فـإذا ما جاهد الإنسان نفسه فيها ، واستشعر عظمة الله فاضت عيناه ، فاستحق أن يكون تحـت ظـل عـرش الرحمـن يـوم لا ظـل إلا ظله.

قال ابن القيم :
إن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعـالى ، فينبغـي للعبـد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله تعالى وذكر حمـاد بـن زيـد عـن المعلى بن زياد أن رجلا قال للحسن : يـا أبـا سـعيد أشـكو إليـك قسوة قلبي ، قال : أذبه بالذكر ؛ وهذا لأن القلـب كلمـا اشـتدت به الغفلة اشتدت بـه القسـوة فـإذا ذكـر اللـه تعـالى ذابـت تلـك القسوة كما يذوب الرصاص في النار ، فما أذيبت قسوة القلوب بمثل ذكر الله عز وجل.
" الوابل الصيِّب " (ص 99) .

4. الإكثار من الطاعات .
قال أحمد بن سهل - رحمه الله - : " قال لـي أبـو معاويـة الأسود : يا أبا علي من أكثر لله الصدق نَدِيت عيناه ، وأجـابته إذا دعاهما " .

5. تذكر الموت ورؤية المحتضرين والأموات .
عن جابر رضي الله عنه قـال : أخـذ النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم بيد عبد الرحمن بن عوف فـانطلق بـه إلـى ابنـه إبراهيـم فوجده يجود بنفسه فأخذه النبي صلى الله عليه وسـلم فوضـعه في حجره فبكى ، فقال لـه عبـد الرحمـن : أتبكـي ؟ أولـم تكـن نهيت عن البكاء ؟ قـال : لا ، ولكـن نهيـت عـن صـوتين أحمقيـن فاجرين : صوت عند مصيبة - خمش وجوه وشق جيوب - ، ورنة

شيطان .
رواه الترمذي (1005) ، وقال : هذا حديث حسن ، وحسَّنه الشيخ الألباني في " السلسلة الصحيحة " (2157) .

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه بكى على ابنه إبراهيم ، حينما رآه يجود بنفسه ، فجعلت عيناه تذرفان الدموع ثم قال : " إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون " رواه البخاري (1241) ومسلم (2315) .

وعن عبد الله بن عمر قال اشتكى سعد بن عبادة شكوى له فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود فلما دخل عليه وجده في غاشية فقال قد قضى ؟ قالوا لا يا رسول الله فبكى النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأى القوم بكاء النبي صلى الله عليه وسلم بكوا فقال ألا تسمعون ؟ إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا وأشار إلى لسانه أو يرحم . البخاري (1242) ومسلم (924) .

وعن صفية أن امرأة أتت عائشة تشكو إليها القسوة فقالت : " أكثري ذكر الموت يرق قلبك وتقدرين على حاجتك " قالت : ففعلت ، فوجدت أن قلبها رق ، فجاءت تشكر لعائشة رضي الله عنها .

يقول أبو الدرداء رضي الله عنه : أضحكني ثلاث و أبكاني ثلاث :
أضحكني : مؤمل دنيا والموت يطلبه ، وغافل ليس بمغفول عنه ، وضاحك بملء فيه لا يدري أأرضى الله أم أسخطه .
و أبكاني : فراق أحب الأحبة محمَّد صلى الله عليه وسلم

وصحبه ، وهَول المطلع عند غمرات الموت ، والوقوف بين يـدي الله يوم تبدو السريرة علانية فلا يدري أإلى الجنة أم إلى النار.
وكان سعيد بن جبير يقول : " لو فارق ذكر الموت قلوبنا سـاعة لفسدت قلوبنا " .
- وهذا مقطع صوتي للشيخ خالد الراشد من محاضرة عن الموت بعنوان "مفرق الجماعات " :
http://box.emanway.com/droos/mkate3/run/mofrqaljma3at.ram

6. أكل الحلال .

سئل بعض الصالحين : بم تلين القلوب ؟ قال : بأكـل الحلال .

7. الابتعاد عن المعاصي .

قال مكحول رحمه الله : " أرقُّ الناس قلوباً أقلهم ذنوباً " .

8. سماع المواعظ .

وقد انتشر في كثير من البلدان أشرطة لمشايخ ثقات يحسـنون التأثير على قلوب الناس ، وقد كانت الخطبة المؤثرة والموعظة البليغة مما يوجل قلوب الصحابة ويُذرف دمع عيونهم .

عن العرباض بن سارية قال : وعظنا رسول الله صـلى اللـه عليه وسلم يومـا بعـد صـلاة الغـداة موعظـة بليغـةً ذرفـت منهـا العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل إن هـذه موعظـة مـودع فماذا تعهـد إلينـا يـا رسـول اللـه قـال : " أوصـيكم بتقـوى اللـه والسمع والطاعة وإن عبـد حبشـي فـإنه مـن يعـش منكـم يـرى اختلافا كثيراً وإيـاكم ومحـدثات الأمـور فإنهـا ضـلالة فمـن أدرك ذلـك منكـم فعليـه بسـنتي وسـنة الخلفـاء الراشـدين المهـديين عضوا عليها بالنواجذ " .

رواه الترمذي (2676) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأبو داود (4607) وابن ماجه (42) ، وصححه الألباني في " السلسلة الصحيحة " (2735) .

9. تذكر القيامة وقلة الزاد والخوف من الله .

بكى أبو هريرة رضي الله عنه في مرضه ، فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : " أما إني لا أبكي على دنياكم هذه ، ولكن أبكي على بُعد سفري ، وقلة زادي ، وإني أمسيت في صعود على جنة أو نار ، لا أدري إلى أيتهما يؤخذ بي " .

روي أنه لما حضرت **محمد بن سيرين** الوفاة , بكى , فقيل له : ما يبكيك ؟
فقال : أبكي لتفريطي في الأيام الخالية و قلة عملي للجنة العالية و ما ينجيني من النار الحامية .

سئل عطاء السليمي : ما هذا الحزن ؟ قال : ويحك ، الموت في عنقي ، والقبر بيتي ، وفي القيامة موقفي ، وعلى جسر جهنم طريقي لا أدري ما يُصنَع بي .

وكان فضالة بن صيفي كثير البكاء ، فدخل عليه رجل وهو يبكي فقال لزوجته ما شأنه ؟ قالت : زعم أنه يريد سفراً بعيداً ومالَه زاد .

لما احتضر **هشام بن عبد الملك** نظر إلى أهله يبكون حوله فقال : جاء هشام إليكم بالدنيا وجئتم له بالبكاء , ترك لكم ما جمَع و تركتم له ما حمل , ما أعظم مصيبة هشام إن لم يرحمه الله .

قال ابن القيم : اعرف قدر ما ضاع ، وابك بكاء من يدري مقدار الفائت .

وقال الألبيري - رحمه الله - :

ولا تضحكْ مع السفهاءِ يوماً فإنّك سوف تبكي إن ضحكتا !
ومَن لك بالسرور وأنتَ رهنٌ؟ وما تدري أتُفْدى ؟ أم غُلِلْتا ؟!
ولو بكت الدّما عيناك خوفاً ! لذنبك لم أقل لك قد أَمِنْتا !
ومَن لك بالأمان وأنتَ عبدٌ أُمِرْتَ فما ائتمرتَ ولا أطَعْتا!

10. البكاء عند زيارة القبور .

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها ؛ فإنها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة ولا تقولوا هجراً " .
رواه أحمد (13075) وصححه الشيخ الألباني في " صحيح الجامع " (4584) .
وروى مسلم في صحيحه (976) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى , وأبكى من حوله " .

وعن هانئ مولى عثمان رضي الله عنه قال : كان عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته ! فقيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكي ، وتبكي من هذا ؟! فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن القبر أول منزل من منازل الآخرة ، فإن نجا منه ، فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه ؛ فما بعده أشد منه " قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما رأيت منظراً قط إلاّ القبر أفظع منه " .
رواه الترمذي (2308) وابن ماجه (4267) ، والحديث حسَّنه الشيخ الألباني في " صحيح الترغيب " (3550) .

- وهذا مقطع من محاضرة للشيخ خالد الراشد بعنوان " أين دارك غداً ؟ " وهي عن القبر :

http://box.emanway.com/droos/mkate3/run/Ayna_Dark_intro.ram

11. التفكر عند رؤية ما يُعتبَر كرؤية النار في الدنيا .
عن مغيرة بن سعد بن الأخرم قال : ما خـرج عبـد اللـه بـن مسعود إلى السوق فمر على الحدادين فرأى مـا يخرجـون مـن النار إلا جعلت عيناه تسيلان .
فإن المسلم أعرف أهل الأرض بربه تعالى ، فـالواجب عليـه أن يكـون حـاله لا كحـال الآخريـن ، فهـو يعتـبر ويتعـظ بمـا يقـرؤه ويسمعه من الآيات والمواعظ ، والقلب الخائف يثمر عيناً دامعة رجاء بلوغ رحمة الله تعالى ودخـول الجنـة ، تحقيقـاً لوعـد اللـه تعالى ، قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم : " عينـان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية اللـه ، وعيـن بـاتت تحـرس في سبيل الله " رواه الترمذي (1639) من حديث ابن عبـاس رضي الله عنه .

12. الدعاء .
وقد استعاذ النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم مـن القلـب الـذي لا يخشع ، وقد سبق ذِكر اتصال العين بالقلب .
عن زيد بن أرقم قال لا أقول لكم إلا كما كان رسول اللـه صـلى الله عليه وسلم يقـول ، كـان يقـول : اللهـم إنـي أعـوذ بـك مـن العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعـذاب القـبر اللهـم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهــم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلـب لا يخشـع ومـن نفـس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها . رواه مسلم (2722) .
ومن أراد أن تدمع عينه فله أن يدعو الله بذلك .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

وكان عتبة الغلام سأل ربه ثلاث خصال : صوتاً حسناً ، ودمعاً غزيراً ، وطعاماً من غير تكلف ، فكان إذا قرأ بكى وأبكى ودموعه جارية دهره ، وكان يأوي إلى منزله فيصيب فيه قوته ولا يدري من أين يأتيه .
" مجموع الفتاوى " (11 / 282) .

- وهذا مقطع من دعاء الشيخ ناصر القطامي :
http://www.alasra.org/files/gnot.rm

13. التباكي .
عن ابن أبي مليكة قال : جلسنا إلى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في الحِجر فقال : ابكوا ، فإن لم تجدوا بكاء فتباكوا ، لو تعلموا العلم لصلّى أحدكم حتى ينكسر ظهره ، ولبكى حتى ينقطع صوته . رواه الحاكم في " المستدرك " (4 / 622) ، وصححه الألباني موقوفاً في " صحيح الترغيب " (3328) .

وعن التباكي **قال ابن القيم** - بعد ذكره أنواع البكاء - :
وما كان منه مستدعىً متكلفاً فهو التباكي وهو نوعان : محمود ومذموم
فالمحمود : أن يُستحلب لرقة القلب ولخشية الله ، لا للرياء والسمعة ،
والمذموم : يُجتلب لأجل الخلق .

وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم وقد رآه يبكي هو وأبو بكر في شأن أسارى بدر : أخبرني ما يبكيك يا رسول الله ؟ فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد تباكيت لبكائكما (أخرجه مسلم في صحيحه (1763) ضمن حديث مطول في الجهاد) .

ولم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم ، وقد قـال بعـض السـلف : ابكوا من خشية الله فإن لم تبكوا فتباكوا .
" زاد المعاد " (1 / 185 ، 186) .

ونسأل الله تعالى أن يجعل قلوبا وجلة ، وأعيننا دامعة من خشيته .

جمعه وأعدَّه :
أبو طارق
إحسان بن محمد بن عايش العتيـبي
28 رجب 1424 هـ